ISSN: 1994-4217 (Print) 2518-5586(online)

Journal of College of Education

Available online at: https://eduj.uowasit.edu.iq

Dr .Nahla Abdullah Khalaf AL.Waeli

Wasit University-College of Education for Human Science

Email: nalwaili@uowasit.edu.iq

Keywords:

Eloquent, Eloquent , Arabic

A r t i c l e i n f o

Article history:
Received 12.Dec.2021
Accepted 9.Jan.2022
Available online28.Feb.2022

Eloquent and Eloquent in Arabic

A B S T R A C T

This research sheds light on (the eloquent and the most eloquent) in Arabic, which is limited to identify the main reasons rather than mentioning many examples. The research introduces the linguistic origin of eloquence, the home of eloquence, and from those who took the first linguists, indicating the priority of the Arabic language over all other languages. The researcher, then, mentions the most important reasons for this phenomenon by focusing on what descended in the Holy Qur'an - even if it is not on their Arab linguists' analogy. This is because the verbal in the Holy Qur'an, i.e., the worshiper book by reciting it, is widely used in the lives of Muslims, especially in their various devotional duties. Finally, the researcher summarizes the most important elements and topics that were mentioned in the research.

© 2022 EDUJ, College of Education for Human Science, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/eduj.Vol3.Iss46.2924

الفصيح والأفصح في العربيّة

أ.م.د. نهلة عبدالله خلف الوائليّ

جامعة واسط / كلية التربية للعلوم الانسانية

الملخص

يُسلّط هذا البحث الضّوء على (الفصيح والأفصح) في العربيّة ، مقتصراً على بيان أهمّ الأسباب دون الأمثلة الكثيرة . وقد استهللت البحث بالأصل اللغوي للفصاحة مبينًا أفضليّة اللغة العربيّة على سائر اللغات ، ثم موطن الفصاحة وممّن أخذ اللغويّون الاوائل ، ثم ذكرت أهم أسباب هذه الظاهرة مبرّزًا ما جاء في القرآن الكريم ـ وإن كان على غير قياسهم ـ لأنّ اللفظ في القرآن الكريم ـ وهو الكتاب المتعبّد بتلاوته ـ يتداول بكثرة في حياة المسلمين : في فروضهم العباديّة المختلفة ، ثم بيّنت في الخلاصة أهمّ ما كان في البحث ، وبعدها كانت روافد البحث.

الكلمات المفتاحية: الفصيح ، الأفصح ، العربية

الفصاحة في اللغة :

الفصاحة في اللغة : البيان **(الفيروز آبادي، ٢٠٠٠، ٣٥٢/١(فصح))** ، و" **نَصُح الرجل : جاد لغته ، وأفصح : تكلّم بالعربيّة** "(الأصفهاني ، ١٤٢٧هـ، ٦٣٧)، والبيان بحد ذاته: " **الافصاح مع ذكاء"(الفيروز آبادي،٢،٢٠٠٠/ ٥٥٥(بيّن))**.

ويربط اللغويّون في تعريفهم الفصاحة بين البيان وجودة لغة المتكلّم ؛ ذلك أنَّ البيان ورد ملازما لخلق الانسان ، قال تعالى: **((خلَق الإنسانَ علمّه البيان)) (الرحمن :٣ـ٤)**. فقد خصّص الله (تبارك اسمه) البيانَ نعمةً على العبد : فُهِمَ هذا من حذف الواو في قوله تعالى : ((علمّه البيان)) ، قال الزركشي (ت ٧٩٤هـ) : " **فإنه جعل تعليم البيان في وِزان خلقهِ، وكالبدل من قوله "خلق الانسان" " لأنه حيّ ناطق** " **(الزركشي ، ٢٠٠٦، ٢١٩/١)** ، والبيّان الذي نعنى به هو ما انمازت به العربيّة عن سائر اللغات ، " **فإن قال قائل: فقد يقع البيان بغير اللسان العربيّ ;لأن كلَّ مَنّ أفهم بكلامهِ على شرط لغته فقد بيّن، قيل له: إن كنت تريد أنَّ المتكلّم بغير اللغة العربيّة قد يُعرب عن نفسهِ حتى يفهم السّامع مراده فهذا أخّسّ مراتب البيان؛ لأنَّ الأبكم قد يدلَّ بإشارات وحركات له على أكثر مرادهِ ، ثم لا يسّمى متكلّما، فضلا عن أن يسمَّى بيّنا أو بليغا** " **(ابن فارس ، د.ت، ١٦)**.

وفي العربيّة ثراء لغويّ لا تتوافر عليه اللغات الأخرى ، متمثّلا بالموروث الذي دوَّنه القدماء، من مثل قول الخليل بن أحمد الفراهيديّ (١٧٥هـ)" **لصِقَ يلصَق لصوقاً : لغة تميم. ولسِق أحسن لقيس، ولزق لربيعة وهي أقبحها** " **(الفراهيدي ، ١٩٨٠، ٦٤/٥(لصق))** ، فضلا عن أنّ القرآن الكريم قد تعهّد الباري بحفظهِ، قال تعالى : **((إنّا نحن نزّلنا الذّكرَ وإنّا له لحافظون)) (الحج:٩)**. ثم إنّ العربيّة طوّعت " **ألفاظها للدّلالة على ما استحدثت الحياة الإسلاميّة من جديد المعاني وما واجهت من آفاق** " (بنت الشاطئ ، د.ت، ٥٥) على الرّغم من ضياع الكثير، قال أبو عمرو بن العلاء (ت١٤٩هـ) : "**ما انتهى إليكم ممّا قالت العرب إلاّ أقلّه ، ولو جاءكم وافراً لجاءكم علمٌ وشعر كثير" (الجمحي ، د.ت، ٢٥/١)**. لهذا ، ولغيره نجد هذه الوفرة من المفردات.

موطن الفصاحة:

العربيّة الفصحى لغة وسط الجزيرة وشماليّها ، وتسمّى العربيّة الشّماليّة التي تنتهي إلى اللغة السّامية الأم **(ينظر: عبد التواب، ١٩٨٧، ٣٥)** وتنحدر ثقافة الجزيرة العربية ـ في مجملها ـ من أصول عربيّة قديمة لم يؤثر فيها الدّخيل الوافد إلا بقدر ضئيل، ولذلك فهي تحافظ على كثير من ملامح اللغة العربيّة **(ينظر : جونستون ، ١٩٨٣، ٧)** التي نزل بها القرآن الكريم.

وتقطن الجزيرة قبائل متفرقة ، منها ما يتّصل بما يجاورها ، ومنها ما انقطع عن غيره . والثانية حافظت على لغتها ، وهي التي حرص أهل الحضر على إرسال أولادهم ليتعلّموا اللغة منها . وقد حدث هذا مع الرّسول الأكرم (صلّى الله عليه وعلى آله)، فهو القائل: "**أنا أفصح العرب بيد أنّي من قريش ، وأني نشأت في بني سعد بن بكر** " **(الزمخشري ، ١٩٧١، ١٢٣/١٧)** ، وعنهم قال أبو عمرو بن العلاء : " **أفصح العرب عُليا هوازن وسُفلى تميم** " **(ابن فارس، د.ت، ٤١)**.

وفي كتاب (العين) و(الكتاب) عبارات تظهر فصاحة بعض القبائل منمازة عن غيرها ، فقد ذكر(الخليل) أنَّ (نصر بن معين أفصحُ العرب) **(الفراهيدي ، ١٩٨٠، ١٦٩/١)** ، وقال سيبويه :" **وزعم أبو الخطّاب ــ وسألته عنه غير مرّة ــ أنّ ناسا من العرب يُوثق بعربيتهم وهم بنو سُليم يجعلون باب قلتُ أجمع مثل ظننت" (سيبويه ، ١٩٧١، ١٢٤/١)**.

ولا يخفى أنّهم وضعوا حدودا للأخذ من العرب متمثّلة في أمكنة محددّة، وزمان معيّن ، قال الفارابي (ت ٣٢١هـ) : " **وبالجملة فإنه لم يؤخذ عن حضريّ قطّ ، ولا عن سكّان البراري ممّن كان يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم "(الفارابي ،٨٤،٢٠٠٦. ـ٨٥)** فلم يأخذوا عن أهل المدر كما أَخذوا عن أهل الوبر، و"**علّة امتناع ذلك ما عرَض للغات الحاضرة وأهل المدر من الاحتلال والفساد والخطل"(ابن جني، د.ت، ٧/٢)**.

وهذا المعيار لم يرضَ عنه (ابن جني)(ينظر: ابن جني ، د.ت، ٧/٢) نفسه ، تابعه في ذلك بعض المحدثين **(ينظر: الجندي ،١٩٧٨، ١٨٣/١ ـ١٨٤)**. بينما يرى آخرون أنَّ لغة البدو هي العربيّة الفصحى، والبدويّ هو الحكم الفصل في العربيّة الصّحيحة " **وهو لا يخطئ في التّحدّث بها عندهم ، ولا يطاوعه لسانه ــ إنَّ أراد ــ على الخطأ"(عبد التواب، ١٩٨٧، ٧٧ ، وينظر: الصالح ،٢٠٠٧، ١١٠)**.

لذا فقد وضع اللغويّون والبلاغيّون شروطا للكلمة الفصيحة ،عدّوا ما جاءت عليها من مفردات بأنها فصحية ، وسواها ليست بفصيحة ، وإن استعملت في كلام العرب، وأبانت قصد المتكلم وفهم مراده ـ وهو معنى الفصاحة في اللغة .

وقد اهتمّ القدماء من علماء العربيّة بهذا الجانب ، وألّفوا كثيرا من الكتب . ولعلَّ (الفصيح) لثعلب (٢١٩هـ) أشهر كتاب وصل إلينا، يقول في مقدّمته : **"هذا كتاب اختيار فصيح الكلام ، مما يجري في كلام النّاس وكتبهم، فمنه ما فيه لغة واحدة والنّاس على خلافها فأخبرنا بصواب ذلك ومنه ما فيه لغتان وثلاث وأكثر من ذلك. فأخبرنا بأفصحهنَّ، ومنه ما فيه لغتان كثرتا واستعملتا ولم تكن احداهما بأكثر من الأخرى فأخذنا بهما"(ابن الجبّان،١٩٩١، ٣٥)** وقد دارت حوله حركة شروح واسعة ، إذ شرحه غير واحد من أئمة اللغة أشهرهم: (ابن درستويه ٣٤٧هـ)(**ينظر: خليفة،١٩٦٧، ١٢٧٢/٢ ــ١٢٧٤)** .

فالكلمة فصيحة إن تحقق الهدف منها ، وهو : الفهم والإفهام . بَيْدْ أنَّ هناك كلمات أخر أفصح منها ، والأمثلة كثر ، وهذا هو المقصود " بالفصيح والأفصح"، ويمكن عدّ هذا الضّرب من ضروب (التوسع في اللغة).

أمّا الشّروط التي وضعها اللغويّون والبلاغيّون ، والتي يمكن عدّها السّبب الرّئيس في وجود " الفصيح والأفصح " في العربيّة فيمكن وضعها تحت العنوان الآتي:

أسباب وجود الفصيح والأفصح في العربيّة

الاول: أن تتألّف اللفظة من حروف متباعدة المخارج ؛ لأنّ **"الحروف التي هي أصوات تجري من السّمع مجرى الألوان من البصر ، ولاشك في أنَّ الألوان المتباينة إذا اجتمعت كانت في النّظر أحسن من الألوان المتقاربة"(الخفاجي ،١٩٣٢، ٦٦)** . والتّأليف من الحروف المتباعدة كثير، وعليه جلّ كلام العرب على **"أن يجد التّأليف اللفظة في السمع حسناً ومزيّة على غيرها ، وإن تساويا في التّأليف من الحروف المتباعدة ... ومثاله في الحروف ـع ذ ب ـ فإنّ السّامع يجد لقولهم : (العذيْب) اسم موضع... وعذب وعذاب ما لا يجده فيما يقارب هذه الألفاظ في التّأليف ...وليس يخفى على أحد السّامعين أنَّ تسمية (الغصن: غصناً أو فنناً، أحسنُ من تسميته (عسلوجا)..."(الخفاجي، ١٩٣٢، ٦٧ ـ ٦٨)**

أما التّأليف في الحروف المتقاربة ، فمن مثل: (الهعخع) ، وحروف الحلق مزيّتها القبح إذا أُلّفت الكلمة منها لا غير **(ينظر: ابن جني ، ٢٠٠٧، ٧٩/١)**.

الثّاني: ألاّ تكون وحشيّة متوعّرة ، منها ما روي عن أبي علقمة النّحويّ من قوله: **"مالكم تتكأكؤون عليَّ تكأكؤكم على ذي جنّة ؟ افرنقعوا عنّي"(الخفاجي، ١٩٣٢، ٦٩)**، وألا تكون الكلمة عاميّة مبتذلة كقول أبي تمام**(حاوي، ١٩٨١، ٤٢٠)**:

جلّيتَ والموتَ مُبدٍ حُرَّ صفحته وقد تفرعن في أوصالهِ الأجلُ

فإنّ (تفرعن) مشتق من اسم(فرعون) وهو من الألفاظ العاميّة المبتذلة**(ينظر: الخفاجي، ١٩٣٢،٧٨)**.

وقد قسّم حازم القرطاجنّي (٦٨٤هـ) الابتذال على أقسام ، منها : ما استعملته العرب دون المحدثين وكان استعمال العرب له كثيراً ، فهذا حسن فصيح . وما استعملته العرب قليلا ولم يحسن تأليفه ولا صيغته ، فهذا لا يحسن إيراده ، وما

استعملته العرب ولا سيما المحدثون وعامّتهم ولم يكثر في ألسنة العامة فلا بأس به ، وغيرها من المراتب **(القرطاجني، ١٩٦٦ ، ٣٨٥ ـ ٣٨٦)**.

الثّالث: أنْ تكون الكلمة غير مخالفة للقياس ومستعملة كثيرا في كلام العرب، وغير شاذّة .

على أنَّ ما ورد في القرآن الكريم ، وإن خالف القياس فإنّه فصيح كما في قوله تعالى: **(استحْوَذَ عليهم الشّيطان) (المجادلة :١٩)**، فالقياس في: (استحوذ) : استحاذ**(ينظر: ابن جني ،د.ت،٩٨/١)**، لكنها لمّا جاءت في القرآن الكريم أصبحت هي الفصيحة ، قال (ابن جني) : " **واعلم أنَّ الشّيء إذا اطّرد في الاستعمال وشذّ عن القياس فلا بُدَّ من اتّباع السّمع الوارد فيه نفسه ...ألا ترى أنكَ إذا سمعت: استحوذ واستصوب أدّيتهما بحالهما، ولم تتجاوز ما ورد به السّمع فيهما إلى غيرهما"(ابن جني، د.ت،٩٩/١)** . وقد ترد الكلمة على الوجه الشّاذّ القليل، وهو أردأ اللغات**(ينظر: الخفاجي ،١٩٣٢، ٨٧)**.

وهذا ممّا ينافي كثرة الاستعمال ، وقلّة الاستعمال مخلّ بالفصاحة ، وعلى الكثرة مدار الفصاحة**(ينظر: السيوطي ،د.ت، ١٨٨/١)**.

الرّابع: أَن تكون الكلمة متناسبة الحروف ، فالثّلاثيّ أحسن من الثّنائيّ والأحاديّ ومن الرّباعيّ والخماسيّ ، **قال الخليل:** " **الاسم لا يكون أقلَّ من ثلاثة أحرف ، حرف يبتدأ به ، وحرف يحشى به الكلمة ، وحرف يوقف عليه** "**(الفراهيدي،١٩٨٠، ٤٩/١)**. أي أن تكون الكلمة متوسّطة بين قلّة الحروف وكثرتها (ينظر : الخفاجي ،١٩٣٢، ٥). ومثال ما استقبح قول أبي الطّيّب المتنبّي:

إنَّ الكريمَ بلا كرامٍ منهمُ مثلُ القلوبِ بلا سويداواتها (المتنبي ، د.ت،٨٥)

فكلمة (سويداوات) طويلة جدّا ، ومستقبحة في كلام العرب.

ومع هذه الأسباب التي ذكرناها ، فإنَّ معرفة كون اللفظ والتركيب أَحسن وأفصح تؤخذ من علم البيان والبديع ، قال الزّركشي :**"وقد صنّف النّاس في ذلك تصانيف، وأجمعها ما جمعه الشّيخ شمس الدّين محمّد بن النّقيب مجلّدين قدّمهما أمام تفسيره ، وما وضعه حازم الأندلسيّ المسّمى بمنهاج البلغاء وسراج الأدباء"(الزركشي،٢٠٠٦، ٢١٨/١)** . تبقى: (كثرة الاستعمال وقلّته) مدار الفصاحة في كلام العرب ، فالكلمة المستعملة بكثرة لابُدَّ من أنْ تكون الأفصح ؛ لأنّ العربيّ كان يلوك اللفظة ويتحسّس ما فيها من خلل بفضل سليقته اللغويّة . ويدخل في هذا ما جاء في (القرآن الكريم) من ألفاظ وإن كانت قليلة الاستعمال قبل نزوله ، لأنّ استعمالها صار كثيرا بفضل وجودها فيه ، وهو الكتاب الذي يتعبدُّ بتلاوتهِ المسلمون كلّ يوم على مرّ العصور.

الخلاصة

١. إنَّ الفصاحة هي البيان بحيث يفهم الآخر ما تريد من خلال ما تنطق به من مفردات، لكن للغة مستويات، فمن المفردات ما يُفهم الآخر وهو ليس جاريا على سنن العربيّة.
٢. (الأفصح) هو ما كثر تداوله على الألسن وجرى على ما بُنيت عليه القواعد.
٣. إنَّ ما ورد في القرآن الكريم من أَلفاظ ـ وإن كانت قليلة الاستعمال قبل نزوله ـ فإنّها فصحى وإن كانت مخالفة لمقاييس اللغويين ؛ لأنّ القرآن الكريم هو الذي حافظ على هذه الألفاظ وهو الكتاب المتعبَّد بتلاوته على مرّ العصور، ومن ثمَّ تصبح هذه الألفاظ كثيرة الدّوران على الألسن.
٤. يمكن عدّ هذه الظاهرة من مظاهر الاتّساع في اللغة العربيّة.

المراجع

- القرآن الكريم

- ابن الجبّان ، أبو منصور ، شرح الفصيح في اللغة، دراسة وتحقيق : د. عبد الجبار جعفر القزاز ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٩١م.
- : ابن جني ، أبو الفتح عثمان (ت ٣٩٢هـ) الخصائص ، تح: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي ، بيروت ، د.ت.
- ابن جني ، أبو الفتح عثمان (ت٣٩٢هـ) ، سر صناعة الإعراب، تح: محمد حسن محمد إسماعيل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٢ء، ٢٠٠٧م.
- ابن فارس ، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ) ، الصاحبي ، تح: السيد أحمد صقر ، مكتبة ومطبعة دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة، د.ت.
- الأصفهاني ، الراغب(٥٠٢هـ) ، مفردات ألفاظ القرآن ، تح: صنوان عدنان داودي ، قم ، ط١، ١٤٢٧هـ
- بنت الشاطئ ، عائشة عبد الرحمن ، لغتنا والحياة، دار المعارف ، القاهرة ، ط٢، د.ت.
- :(ت.م جونستون) ، دراسات في لهجات شرقي الجزيرة العربية ، ترجمه وقدم له وعلق عليه : د. أحمد محمد الضبيب ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، ط٢، ١٩٨٣م.
- الجمحي ،محمد بن سلام (ت٢٣١هـ) ، طبقات فحول الشعراء، شرحه : محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، المؤسسة السعودية بمصر ، القاهرة ، د.ت.
- الجندي ، أحمد علم الدين ، اللهجات العربية في التراث ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ـ تونس ، ١٩٧٨م.
- حاوي ، إيليا ، شرح ديوان أبي تمام دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨١م.
- الخفاجي، أبو محمد عبدالله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي (ت ٤٦٦هـ)، سر الفصاحة ، تح : علي فوده ، ط١ ، مكتبة الخانجي ١٩٣٢ م .
- خليفة ، حاجي ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، الاوفسيت ، ط٣، ١٩٦٧م.
- الزركشي ، الامام بدر الدين محمد بن عبدالله (ت ٧٩٤ هـ)، البرهان في علوم القرآن : ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ٢٠٠٦ م.
- الزمخشري ، جار الله (ت٥٣٨هـ) ، الفائق في غريب الحديث، تح: محمد علي البجاوي ومجمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، ط٢، ١٩٧١م.
- سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠ هـ) ، الكتاب ، تح: عبد السلام هارون ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ، ١٩٧١م.
- السيوطي ، جلال الدين (٩١١هـ) ، المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، تح: محمد أحمد جاد المولى وآخرين ، مطبعة عيسى البابي وشركائه ، مصر ، د.ت.
- الصالح ، صبحي ، دراسات في فقه اللغة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط١٨ ، ٢٠٠٧م.
- عبد التواب ، رمضان ، فصول في فقه العربية ، مكتبة الخانجي ، مصر ، ط٣، ١٩٨٧م.
- الفارابي ، أبو نصر (ت٣٣٩هـ)، كتاب الحروف، تح: إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٦م.
- الفراهيدي ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ)، العين ، تح: د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٨٠م.

- الفيروز آبادي ، مجد الدين محرر بن يعقوب (ت ٨١٧هـ) ، القاموس المحيط ، تقديم : محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط٢ ، ٢٠٠٠م.
- القرطاجني، أبو الحسن حازم (ت٦٨٤هـ)، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب بن الخوجة ، مطبعة الرسمية للجمهورية التونسية ، ١٩٦٦م.
- المتنبي ، أحمد بن حسين الجعفي(٣٥٤هـ)، ديوان المتنبي ، دار بيروت للطباعة والنشر ، د.ت .